الفصل الأول

لمحة تاريخية

۞ **المبحث الأول: الأرض المباركة في التاريخ الإسلامي.**

أ- موقف الرسول ﷺ من اليهود.

ب- الإسلام والأرض المباركة.

جـ- فتح فلسطين والمعارك الإسلامية.

د- فلسطين في العهد المملوكي والعثماني.

۞ **المبحث الثاني: الأرض المباركة في التاريخ الحديث.**

أ- أحداث ما قبل عام (١٩٦٧م): نكبة عام (١٩٤٨م) وجذورها التاريخية.

ب- أحداث ما بعد عام (١٩٦٧م) وأبرزها الانتفاضة.

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول

الأرض المباركة في التاريخ الإسلامي

أ. موقف الرسول ﷺ من اليهود:

إن القضية الفلسطينية هي قضية المسلم الأولى، فينبغي النظر إليها من منطلق مبدئي عقدي، ولا بد من نقلها من نطاقها القومي العربي الضيّق إلى النطاق الإسلامي الواسع.

فمنذ مبدأ انتشار الإسلام ((أصاب اليهود جنون الغيرة والحقد الأسود، كما هو كامن في طبيعتهم))[1]؛ فأعلنوا عداءهم السافر للإسلام وللنبي الكريم. وقد زاد هذا العداء بعد الهجرة؛ لما وجد الإسلام قبولاً وذيوعاً وأنصاراً[2].

فقد كان أحبار اليهود على يقين من أن النبي الخاتم سيكون من جزيرة العرب. وكانوا يطمعون أن يكون منهم؛ لذا فقد بدأ عداؤهم للإسلام منذ اليوم الأول الذي وطئت فيه قدما الرسول الكريم أرض المدينة المنورة، محاولين القضاء على الإسلام في مهده[3].

فكان من الأعمال الأولى التي قام بها النبي في المدينة موادعة اليهود ومعاهدتهم. فكتب بينه وبينهم ميثاق الأمان الذي نظم فيه العلاقة بين المسلمين

---

(١) الإسلام وبنو إسرائيل: ١٣٦.

(٢) انظر: المرجع السابق: ١٤٥.

(٣) انظر: صراعنا مع اليهود، من أين؟ وإلى أين؟: ٣٧-٣٨.

obeikandl.com

واليهود؛ ومن أهم ما جاء فيه: «... إنه من تبعنا من يهود فإن له النصرة والأسوة... وإن اليهود ينفقون على المؤمنين ما داموا محاربين،... وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم[١]، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة... لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم... وأن بينهم النصر على من دهم يثرب...»[٢]، ولكن اليهود أضمروا نقض هذه المعاهدة، مع إظهارهم الاستجابة لها، شأنهم في كل عهد أو ذمة يبرمونها مع غيرهم.

فبدأت مؤامراتهم ومكائدهم ضد المسلمين. وكان بنو قينقاع أغنى اليهود في المدينة؛ فساءهم انتشار الإسلام وعلو شأنه -وبخاصة بعد نصر المسلمين في بدر- ولم يستطيعوا إخفاء حقدهم على الإسلام، فعندما وفدت على سوقهم امرأة مسلمة لحاجةٍ لها في سوق الصاغة، أحاط بها عدد من اليهود، وآذوها بما تأنف منه كل حرة، (فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله -وكان يهودياً- وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون، فوقع الشرُّ بينهم وبين بني قينقاع)[٣]. وبذلك كان بنو قينقاع أول من نقض العهد من اليهود؛ فسار إليهم النبي -عليه الصلاة والسلام- وحاصرهم في حصونهم، ثم أمر بإجلائهم وغنم أموالهم[٤].

---

(١) ((كان هذا قبل أن تفرض الجزية وحين كان الإسلام ضعيفاً، كان لليهود إذ ذاك نصيب في المغنم، إذا قاتلوا مع المسلمين، كما شرط عليهم في هذا الكتاب النفقة معهم في الحروب)) انظر: حاشية مختصر سيرة ابن هشام: ١٠٨.

(٢) المرجع السابق:١٠٧-١٠٨.

(٣) انظر المرجع السابق: ١٣٣.

(٤) انظر المرجع السابق: ١٣٥.

وقد شنّ بعض شعراء اليهود حرباً على الإسلام والمسلمين؛ وكان على رأس هؤلاء كعب بن الأشرف الذي كان يحرض أهل الشرك -بعد بدر- على الانتقام من المسلمين، (وجعل ينشد الأشعار، ويحرض الناس على رسول الله ﷺ، ويبكي على قتلى بدر من أصحاب القليب، ثم رجع إلى المدينة فشبّب بنساء المسلمين حتى آذاهم)[١] فلما بلغ أذى هذا الشاعر مداه، أمر الرسول بقتله، فقتله عدد من المسلمين.

وأدرك بنو النضير أن شأن المسلمين يرتفع يوماً بعد آخر، فرأوا أنه لا بد من التخلص من النبي ﷺ؛ حتى ينتهي الإسلام والمسلمون، فكانت مؤامرتهم لقتله ﷺ حين خرج إليهم يستعين بهم في دفع دية، فقالوا: (...يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه -ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد- فمن رجل يعلو هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟...)[٢] فصعد أحدهم -ورسول الله مع جماعة من أصحابه- فأوحى الله إليه بما دبروه من غدر، فقام ورجع إلى المدينة، وتهيأ لحربهم، بعد نقضهم للعهد، فحاصرهم، ثم أجلاهم عن المدينة، وغنم المسلمون أرضهم وأموالهم[٣].

ونزلت فيهم سورة الحشر، وفيها قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ

(١) مختصر سيرة ابن هشام: ١٣٥.

(٢) المرجع السابق: ١٥٩.

(٣) انظر المرجع السابق: الصفحة نفسها.

ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾ [الحشر: ٢/٥٩].

وتستمر المؤامرة، حيث يعمل اليهود على تأليب الأعداء والأحزاب لحرب المسلمين، ويمنّونهم أنهم سيكونون معهم بأموالهم ورجالهم، فلما علم رسول الله بما أجمعوا عليه، ضرب الخندق على المدينة، فكانت غزوة الأحزاب، التي طال فيها الحصار على المسلمين، وكان نقض يهود بني قريظة للعهد بلاءً عظيماً على المسلمين فزُلزلوا زلزالاً شديداً، قال تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الأحزاب: ١١/٣٣] إلى أن أذن الله بالنصر لجند الحق، وهُزم الأحزاب ﴿ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٩/٣٣]. وحاصر المسلمون بني قريظة -بعد غزوة الأحزاب- حتى أهكهم الحصار؛ فأدركوا أنهم لا قبل لهم بقوة المسلمين، فنزلوا على حكم الرسول الكريم، وحكّم فيهم سعد بن معاذ، الذي حكم ((بأن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء))[1].

فكان ذلك جزاءً وفاقاً لغدرهم ونقضهم العهد. ونزل قوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢٧/٣٣].

وفي خيبر -بؤرة الفساد- تجمعت فلول اليهود المنهزمين؛ فقاموا بتأليب الأعراب على المسلمين، فباغتهم النبي ﷺ ذات صباح، ففتح الله على يديه حصونهم المنيعة، وجاس خلال ديارهم دون مقاومة؛ فاستسلموا وسألوا الصلح، فصالحهم

(١) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء: ٢٦٥.

الرسول على نصف خيبر[١]. ولكنهم عاودوا الغدر، حين أهدت يهودية من خيبر شاة مسمومة لرسول الله، فلما وضعته بين يدي رسول الله ﷺ قال: «إن هذا العظم يخبرني أنه مسموم» ثم دعاها، فاعترفت، فقال: «ما حملك على ذلك؟» فقالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان ملكاً استرحت منه، وإن كان نبياً فسيخبر؛ فتجاوز عنها رسول الله ﷺ وكان بشر بن البراء بن معرور يأكل مع رسول الله ﷺ فأكل منها قطعة وكان ذلك سبب موته[٢].

وهكذا فإنه مع سياسة اللين والتسامح التي عامل بها النبي ﷺ اليهود، ومع معاهدة الأمان المعقودة بينهم وبين المسلمين، فقد ظل اليهود يقاومون الدولة الإسلامية ويتآمرون ضدها دون أن يأبهوا بالمواثيق والعهود إلى أن أمر الله تعالى رسوله بإجلائهم بالقوة من المدينة المنورة.

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أجلى من بقي منهم في فدك وتيماء ووادي القرى إلا من كان عنده عهد أو بيّنة من رسول الله ﷺ. وتم بذلك تطهير الجزيرة العربية من اليهود[٣].

ب. الإسلام والأرض المباركة:

يرتبط أتباع الأديان السماوية بأرض فلسطين ارتباطاً تاريخياً وثيقاً؛ فهي الأرض التي بعث الله فيها كثيراً من الأنبياء، وفيها وُهب إبراهيم -عليه السلام- ذرية مسلمة طيبة، تدين بالمنهج الإسلامي الرباني.

---

(١) انظر السيرة النبوية وأخبار الخلفاء: ٣٠٣.

(٢) المرجع السابق: ٣٠٥.

(٣) انظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء: ٤٨١.

وتضم هذه الأرض مدينة القدس ذات المكانة المتميزة في عقيدة المسلم وتاريخ الإسلام؛ ففيها المسجد الأقصى الذي أُسري بالرسول ﷺ إليه، ثم عرج به إلى السماوات العلا، يقول الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١﴾ [الإسراء: ١/١٧][(١)].

فكان الإسراء والمعراج من الأحداث الإسلامية البارزة التي خلدت اسم القدس وربطت بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، ربطاً روحياً قدسياً، قبل أن تتصل حدود أرضيهما ببضعة عشر عاماً[(٢)].

والمسجد الأقصى ثاني مساجد الدنيا وجوداً بعد المسجد الحرام، لما ثبت في سنن ابن ماجه عن أبي ذر الغفاري، قال: قلت يا رسول الله أي مسجد وُضع أول؟ قال: المسجد الحرام. قال: قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون عاماً... الحديث[(٣)]. كما أن هذا المسجد هو ثالث الحرمين الشريفين ولا تشد الرحال إلا إليها: لحديث رسول الله ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجد الحرام، ومسجد الأقصى، ومسجدي هذا»[(٤)].

---

(١) وانظر حديث الإسراء في صحيح البخاري: ١٣١/٥ الحديث (٣٨٨٦)، وحديث المعراج: ١٣٢/٥-١٣٤ الحديث (٣٨٨٧).

(٢) انظر أهمية القدس في الإسلام: ٢١-٢٥. وانظر بيت المقدس وما حوله: ٦٢-٦٣.

(٣) صحيح سنن ابن ماجه: ١٢٥/١ (٧٥٣).

(٤) صحيح البخاري: ٥١٢/٢ (١٩٩٥).

وضمت هذه الأرض المباركة القبلة الأولى التي اتجه إليها النبي الكريم، إلى أن أمر الله تعالى باستقبال الكعبة؛ وذلك حين هاجر الرسول إلى المدينة، وكان أكثر أهلها اليهود؛ ففرحوا لتوجه الرسول الكريم إلى قبلتهم (بيت المقدس)[١]؛ فنزل قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [البقرة: ١٤٤/٢]. فتمّ تحويل القبلة إلى الكعبة بعد ستة عشر شهراً من الهجرة[٢]. ولهذا، كانت فلسطين أرضاً حباها الله بالخير، وخصها بالبركة، وقد وصفها القرآن الكريم بصفات الطهر والقدسية والبركة في مواضع عديدة منها آية الإسراء والمعراج السابق ذكرها، وقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء: ٧١/٢١]. فالأرض التي بارك فيها -كما ذكر الشوكاني- ((قيل [إنها] بيت المقدس؛ لأن منها بعث الله أكثر الأنبياء، وهي أيضاً كثيرة الخصب))[٣]. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾ [سبأ: ١٨/٣٤]. ((قال ابن عباس: القرى التي باركنا فيها هي بيت المقدس))[٤] وهي الأرض المقدسة التي ذكرت على لسان موسى في قوله جل شأنه: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ [المائدة: ٢١/٥][٥].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير: ١٦٩/١.

(٢) انظر حديث تحويل القبلة في صحيح البخاري: ٨٣/١ (٤٠) و(٣٩٩).

(٣) فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: ٤١٦/٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٣٣/٣.

(٥) انظر تفسير الآية في فتح القدير: ٢٦/٢.

ومؤدى ذلك -لا مراء- أن فلسطين لدى المسلم قضية عقيدة وحضارة، لا قضية أرض وتراب، فأرض فلسطين هي منبت عقيدة التوحيد، ومهبط الرسالات، وملتقى النبوات على امتداد صفحات التاريخ.

وإزاء هذا فإن مسؤولية الأمة العربية والإسلامية، مسؤولية تامة عن قدسية الأرض الفلسطينية ووحدتها؛ بوصفها أمانة تاريخية، لا يجوز التفريط فيها، أو التصرف بها، ولا يحق لأحد التنازل عنها.

جـ. فتح فلسطين والمعارك الإسلامية:

كان أول عمل حربي للمسلمين خارج الجزيرة العربية هو تسيير أول قوة إسلامية إلى بلاد الشام، حيث بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة -في السنة الثامنة للهجرة- على رأس تلك القوة، وكان عددها ثلاثة آلاف مقاتل؛ للاحتكاك بقوات الروم التي كانت تحكم سيطرتها على بلاد الشام، ومن جملتها: الأردن وفلسطين، وكان هرقل ملك الروم قد حشد مئة ألف مقاتل، وانضم إليهم مثل هذا العدد من قبائل العرب. ومع هذا التفوق العددي الكبير للعدو، أقدم المسلمون بشجاعة، وقاتلوا جموع الروم في معركة مؤتة. ودارت المعركة التي أثبتت استعداد المسلمين للتضحية والفداء في سبيل الله. فاستشهد في هذه المعركة زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة[1].

وفي العام التاسع للهجرة، جهز رسول الله ﷺ جيشاً لغزو الروم، وخرج في ثلاثين ألفاً من أصحابه، فلما بلغوا تبوك، لم يجدوا للرومان أثراً يدل على تأهبهم للحرب؛ فقد آثروا الصلح على ملاقاة الجيش الإسلامي الفتيّ الذي كان أول

(١) انظر مختصر سيرة ابن هشام: ٢١٥-٢١٧.

جيش إسلامي يخرج بهذا العدد. ثم عاد الرسول الكريم إلى المدينة بعد أن صالح أهل أيلة[١]؛ وأعطوه الجزية[٢].

وفي السنة الحادية عشرة للهجرة، عقد عليه الصلاة والسلام اللواء لجيش أسامة بن زيد، وأمره أن يسير إلى موضع مقتل أبيه في تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين[٣]، وكان في هذا ((إشارة من الرسول ﷺ إلى صحابته من بعده، أن ما بدأه لا بد أن يستمر، وأنه لا بد من مواصلة الجهاد في سبيل الله حتى يسقط طواغيت الروم، وتتحرر بلاد الشام -بما في ذلك بيت المقدس- من ربقة الاحتلال النصراني ومن شايعه من أبناء العرب المشركين))[٤].

وبعد وفاة النبي الكريم، أمر الخليفة أبو بكر الصديق بإنفاذ جيش أسامة، الذي عقد لواءه رسول الله بيده قبيل وفاته قائلاً: «اغزُ باسم الله في سبيل الله فقاتل من كفر بالله»[٥]. ومع انشغال الصديق بحروب الردة، إلا أنه أبى أن يحلّ عقدة عقدها رسول الله ﷺ فوصل أسامة وجيشه إلى تخوم البلقاء، وشنّ عليهم الغارة، وقتل قاتل أبيه، وغنم غنائم كثيرة، ثم عاد إلى المدينة و لم يُصَب من المسلمين أحد[٦].

---

(١) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم (الأحمر) مما يلي الشام. انظر: معجم البلدان: ٢٩٢/١.

(٢) انظر السيرة النبوية وأخبار الخلفاء: ٣٦٦.

(٣) انظر: الطبقات الكبرى: ١٩١/٢.

(٤) الطريق إلى بيت المقدس: ٥٤.

(٥) الطبقات الكبرى: ١٩٠/٢.

(٦) انظر المرجع السابق: ١٩١/٢.

وفي العام الثالث عشر من الهجرة وجه أبو بكر الصديق أربعة جيوش إلى بلاد الشام، فبعث عمرو بن العاص إلى فلسطين، ويزيد بن أبي سفيان إلى دمشق، وأبا عبيدة بن الجراح إلى حمص، وشرحبيل بن حسنة إلى وادي الأردن، ثم سيّر الصديق جيشاً آخر بقيادة خالد بن الوليد الذي وحّد القيادة، فكانت المعركة الفاصلة في وادي اليرموك، في العام الثالث عشرة للهجرة، حيث انتصر المسلمون انتصاراً عظيماً على جيش الروم الذي كان عشرة أمثالهم. ووقعت -في العام نفسه- المعركة الثانية بين جيش الإسلام وجيش الروم، في أجنادين[١]. فتمكن أفذاذ القادة المسلمين من هزيمة جموع الروم، بعد معركة شديدة الضراوة انجلى غبارها عن نصر عزيز للمسلمين[٢].

ولما تولى عمر بن الخطاب الخلافة عين أبا عبيدة قائداً لجيوش الفتح، المتوجهة نحو بيت المقدس، ففتح عدة مدن بفلسطين؛ مما مهد للجيش الإسلامي الطريق للزحف نحو بيت المقدس. ثم كتب أبو عبيدة إلى أهل إيلياء[٣]؛ يدعوهم إلى الإسلام، أو دفع الجزية أو يأذنوا بحرب، فلما لم يستجيبوا؛ سار إليهم أبوعبيدة وضرب الحصار حول بيت المقدس في أيام بردٍ شديدة، فضيّق عليهم، حتى استيأس أهل إيلياء من مغالبة الحصار، الذي دام أربعة أشهر، فأجابوا إلى الصلح، على أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بنفسه؛ ليعطيهم العهد ويكتب لهم الأمان. فكتب أبو عبيدة إلى عمر؛ فاستشار كبار الصحابة، وأشار

---

(١) أجنادين موضع معروف بالشام من نواحي فلسطين، من الرملة من كورة بيت جبرين، انظر معجم البلدان: ١/١٠٣.

(٢) انظر السيرة النبوية وأخبار الخلفاء:٤٤٦-٤٥٢.

(٣) إيلياء: اسم مدينة بيت المقدس، انظر معجم البلدان: ١/٢٩٣.

عليه علي بن أبي طالب بالخروج إليهم، فجاء عمر إلى بيت المقدس في السنة السادسة عشرة للهجرة، ودخل القدس مكبراً، وكتب وثيقة الأمان المعروفة بالعهدة العمرية[١]. ((وكانت هذه العهدة العمرية رمزاً على تسامح الإسلام، وتجربة عملية لتطبيق عدل الإسلام، ومبادئه التي تقرر أنه لا إكراه في الدين، ويلاحظ فيها النص على منع اليهود من السكن في إيلياء[٢] بناءً على طلب البطريرك؛ ذلك لأن المسلمين حينما فتحوا بيت المقدس لم يجدوا فيها أحداً من اليهود؛ لأن النصارى قد حرموا عليهم العيش في المدينة المقدسة؛ تخلصاً من مؤامراتهم ودسائسهم))[٣].

وبنى عمر رضي الله عنه مسجداً أمام الصخرة المشرفة، أما المسجد الأقصى وقبة الصخرة بشكلهما الحاضر فقد تمّ بناؤهما في عهد الخليفة الأموي عبد الملك ابن مروان وابنه الوليد، وما زالا إلى اليوم من أهم الآثار الإسلامية الخالدة[٤].

وظلت المدينة المقدسة عربية إسلامية مصونة محفوظة في كنف الدولة العباسية؛ وقد أولاها الخلفاء العباسيون اهتمامهم العظيم؛ فأصلحوا بناء المسجد، وجعلوه أوثق وأحسن صناعة مما كان عليه، وذلك في عهد أبي جعفر المنصور والمهدي والمأمون[٥].

---

(١) انظر الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: ١/٢٤٦-٢٥٨.

(٢) انظر نص العهدة في الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: ١/٢٥٣.

(٣) خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية: ١٣١.

(٤) انظر الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: ١/٢٧٢-٢٧٣.

(٥) انظر المرجع السابق: ١/٢٨٢-٢٨٣.

واستمرت هذه الأرض المباركة في أمان واستقرار تحت حكم الدولتين الطولونية والإخشيدية.

وفي عهد الفاطميين تغير الحال إلى ما لم تحمد عقباه؛ حيث عمل الحكام الفاطميون على تقريب النصارى في فلسطين واسترضائهم؛[١] مما جدد أطماع النصارى في الاستيلاء على هذه الأرض؛ فكان ذلك من الأسباب الرئيسية لتجهيز الحملات الصليبية وإغارتها على البلاد الإسلامية واستيلائها على بيت المقدس.

وانتهزت الصليبية الحاقدة فرصة تنازع الفاطميين والسلاجقة على المدينة المقدسة؛ فشنّت حرباً ضد المسلمين؛ لإخراجهم من بيت المقدس، متظاهرين بأنهم أصحاب عقيدة، وأن لهم مقدسات يرغبون في استرجاعها في أرض الشام[٢]. فوقعت القدس في يدي النصارى عام ٤٩٢هـ، بعد خمسة قرون كاملة في ظل حماية دول الخلافة الإسلامية المتتابعة.

وأمعن النصارى في التدمير ونشر الرعب، ولم يسلم من بطشهم رجل ولا امرأة ولا شيخ ولا طفل، ((وركب الناس السيف، ولبث الفرنج في البلدة أسبوعاً يقتلون فيه المسلمين... وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبّادهم وزهّادهم))[٣].

---

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: ٣٠٧/١.

(٢) انظر البداية والنهاية: ١٥٦/٢، وانظر الكامل في التاريخ: ١٩/٩.

(٣) الكامل في التاريخ: ١٩/٩.

ولا يخفى على عاقل البونُ الشاسع بين فتح المسلمين للقدس في عهد عمر رضي الله عنه وبين هذا الفتح الحاقد المدمّر، فقد أمّن عمر النصارى على أنفسهم وأموالهم، وعاملهم معاملة كريمة. فكان مثالاً للعدل والتسامح؛ لأنه داعية خير وسلام؛ فلم يستبح دماً ولا مالاً، كما فعل الصليبيون الذين نهبوا الأموال، وخربوا أثاث المسجد الأقصى ومسجد الصخرة، ونهبوا القناديل الذهبية[١].

وتبقى المدينة المقدسة في يد الصليبيين أكثر من تسعين عاماً إلى أن قيّض الله لها قائداً مسلماً غيوراً هو صلاح الدين الأيوبي، الذي عزم على تطهير الأرض المباركة؛ فدارت معركة حطين الحاسمة، قرب بحيرة طبرية (٥٨٣هـ)، حيث أحاط المسلمون بالصليبيين من كل جانب، وقطعوا عليهم السبل إلى موارد الماء، ثم أشعلوا حولهم النيران؛ فضاق بهم الأمر، واشتد القتال، فكان النصر حليف المسلمين؛ مسطّرين بذلك صفحة مشرقة مجيدة في تاريخ الإسلام[٢]. ثم سقطت المدن تباعاً في يد الجيش الإسلامي، فاستولى على قلعة طبرية وتسلّم بلاد الأردن، ثم سار إلى عكا ففتحها صلحاً؛ مما فتح الطريق أمامه إلى بيت المقدس؛ فحاصرها حصاراً شديداً، ودارت رحى الحرب بعنف إلى أن سقط البرج المحصن فيها ودخل صلاح الدين بيت المقدس في ٢٧ رجب ٥٨٣هـ؛ فهرع الصليبيون إلى القائد صلاح الدين لطلب الأمان، فأجابهم إلى الصلح؛ ضنّاً منه بدماء الأسرى من المسلمين، الذين كانوا في أيدي الصليبيين المنهزمين، الذين هددوا بقتل أولئك الأسرى؛ ما لم يجبْهم صلاح الدين إلى الصلح[٣]. فسمح لهم صلاح الدين بدفع

(١) الكامل في التاريخ: ٩/١٩-٢٠.

(٢) انظر الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية: ٢/٧٤-٩٠.

(٣) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية: ٢/٧٤-٩٠.

الجزية؛ وجاءت شروط الصلح سهلة ميسرة؛ مع أن صلاح الدين قد حدد الفدية بعشرة دنانير عن كل رجل، وخمسة عن كل امرأة، ودينار عن كل طفل، إلا أنه عفا عن كثير منهم، وكانت معاملته لهم مضرب المثل في العدل والإنصاف، وسمح لهم بحرية العبادة في كنيسة القيامة، وأن يسكنوا بيت المقدس آمنين مطمئنين. وشتان بين هذه الروح الإسلامية السامية وبين ما فعله الصليبيون الحاقدون عند غزوهم القدس عام ٤٩٢هـ، من تذبيح للمسلمين والبطش بهم حتى خاض الناس في الدماء على شوارع بيت المقدس[١].

د. فلسطين في العهد المملوكي والعثماني:

ظلت أرض فلسطين إسلامية في عهد الأيوبيين؛ إلى أن انقسمت دولتهم المترامية الأطراف، وضعفت شوكتهم؛ فاستغل الأعداء من الفرنج هذه الفرصة؛ وانتزعوا بيت المقدس منهم ثانية. ولكن تمكن الملك الصالح نجم الدين أيوب من استعادتها سنة ٦٤٣هـ.

وبعد سقوط الدولة الأيوبية، بدأ عهد المماليك الذين دافعوا عن الأرض المباركة؛ وردوا عنها هجمات الفرنج والتتار[٢].

وفي عهد الملك المظفر سيف الدين قطز اجتاح التتار بقيادة هولاكو أرض الرافدين والجزيرة وبلاد الشام ومصر، وأنزلوا بأهلها أنواع النكال والدمار، ولما علم الملك المظفر بما كان من أمرهم بالشام، وما فعلوه فيها من نهب وسلب وتدمير، بادرهم وخرج بجيشه إلى الشام؛ فالتقى بجيش هولاكو في رمضان

---

(١) انظر الكامل في التاريخ: ١٠/١٤٩.

(٢) انظر الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: ٢/٨٥.

٦٥٨هـ، ووقعت معركة عين جالوت العظيمة، التي انتصر فيها المسلمون، وهُزم جيش المغول هزيمة ساحقة.

وبعد هذه المعركة توفي الملك المظفر قطز، وتولى الحكم بعده الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، الذي حكم بلاد الشام حكماً عادلاً، وطارد من بقي فيها من الصليبيين، كما قاوم جيوش التتار التي حاولت استرجاع الشام، فصدهم عنها وكرّوا راجعين[١].

وحينما تولى السلطان المملوكي المنصور قلاوون السلطة، واصل مسيرة الجهاد ضد الأعداء من التتار والفرنج، فنازلهم في مواقع عديدة، وألحق بهم الهزيمة، فنجت بلاد الشام من شرهم[٢].

وقام ابنه الأشرف خليل من بعده بتطهير بلاد الشام من بقايا الجيوب الصليبية، فاسترجع بقية ثغور الشام من أيدي الصليبيين سنة ٦٩٠هـ. وبذلك انتهى الوجود الصليبي في الشام؛ وأضحى العالم المسيحي الشرقي خاضعاً لحكم المسلمين[٣].

ولا ريب أن هذه المواجهات الإسلامية مع العدو الصليبي هي التجربة التي يجب أن تكون ماثلةً أمام المسلمين اليوم؛ ليعلموا أن الطريق الصحيح لمواجهة العدو هو الطريق الإسلامي الذي سار عليه صلاح الدين وقطز وبيبرس فحقق لهم النصر على الأعداء؛ لأنه هو وحده منطلق النصر.

---

(١) انظر البداية والنهاية: ١٣/٢١٩-٢٢٠-٢٢٣.

(٢) انظر المرجع السابق: ١٣/٢٩٤.

(٣) انظر المرجع السابق: ١٣/٣١٩-٣٢٣.

وجدير بالذكر أن بيت المقدس في العهد المملوكي أصبح مركـــزاً للثقافـــة الإسلامية، حيث اهتم المماليك بالعلم وبنوا المدارس، ووفد إليهم العلماء من كل مكان، واهتموا بترميم مسجد قبة الصخرة فزخرفوا القبة بالفسيفساء[١].

وفي عهد العثمانيين احتل السلطان سليم الأول بلاد الشام بعد معركة [مرج دابق] مع المماليك سنة ٩٢٢هـــ، ثم سار إلى فلسطين وقضى على بقايا المماليك الذين تجزأت وحدتهم؛ فاحتل فلسطين دون قتال، ثم غادرها إلى مصـــر، الـــتي أصبحت إحدى ولايات السلطنة العثمانية.

ولما توفي السلطان سليم الأول، تولى من بعده ابنه السلطان سليمان القانوني، الذي جدّد عمارة سور القدس، وعمّر قبة الصخرة، وجدران الحرم وأبوابه[٢].

((ومن السلاطين المشهورين في العهد التركي السلطان محمود الثاني الـــذي جرت في عهده حوادث جسام، منها حملة نابليون بونابرت سنة ١٧٩٨م، وكان الهدف منها توسيع إمبراطوريته،...لكن أمله لم يتحقق،... ومن تلك الحـــوادث الجسام حملة إبراهيم باشا على بلاد الشام... [الذي] كاد أن يدخل الآستانة لولا تدخل الدولة الأجنبية، وعلى رأسها إنجلترا التي خشيت من توسع نفوذ محمـــد علي؛ فوقفت إلى جانب الدولة العثمانية، وضغطت على محمد علي لقبول الصلح مع الدولة العثمانية،... وأصبحت مصر وفلسطين وبعض أراضي بلاد الشـــام، تابعة لولاية محمد علي [إلى أن انسحب عنها] بعد أن دام حكم أسرة محمد علي فيها عشرة أعوام))[٣].

---

(١) انظر الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: ٢/٨٦-٨٩.

(٢) انظر مدن فلسطين الكبرى، القدس: ٦٦-٦٧.

(٣) المرجع السابق: ٦٨-٦٩.

ومن السلاطين ذوي الشأن، السلطان عبد الحميد الثاني بن عبد المجيد الذي صدر في عهده قانون يمنع اليهود من دخول فلسطين، إلا في حالة الحج والزيارة (١٨٨٢م)، ثم أصدر قانوناً يحرم بيع أراضي الحكومة إلى اليهود (١٨٩٢م). وقد واجه السلطان عبد الحميد الثاني المؤامرات الصهيونية لتهويد فلسطين، تمهيداً لإقامة الدولة اليهودية فيها[١].

ففي عام (١٨٩٧م) عرض هرتزل[٢] على السلطان عبد الحميد مبلغاً كبيراً من المال نظير السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين والتوطن فيها، ولكن السلطان عبد الحميد وقف موقفاً ثابتاً وحاسماً أمام هذا العرض الصهيوني، وقال: ((... إني لا أستطيع أن أتخلّى عن شبر واحد من الأرض؛ فهي ليست ملك يميني، بل ملك شعبي. لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الأرض، ورواها بدمه، فليحتفظ اليهود بملايينهم... إن عمل المبضع في بدني لأهون عليّ من أن أرى فلسطين قد بُترت من إمبراطوريتي. إني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة))[٣].

وهكذا ظلت هذه المواقف المشرفة للسلطان عبد الحميد الثاني عقبة كأداء في وجه هرتزل، ومحاولاته المتكررة من أجل تنفيذ المشاريع الصهيونية في فلسطين.

---

(١) مدن فلسطين الكبرى، القدس: ٧٠-٧١.

(٢) من أخطر زعماء الصهيونية في العالم، نُصّب في مؤتمر بال (١٨٩٧م) بسويسرا رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية، انظر الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية: ١٨٧، وانظر التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد: ٤٨-٤٩.

(٣) التاريخ الإسلامي، العهد العثماني: ٨/٢٠٠.

المبحث الثاني

الأرض المباركة في التاريخ الحديث

أ. أحداث ما قبل عام (١٩٦٧م):

نكبة عام (١٩٤٨م) وجذورها التاريخية:

لم تلبث الدولة العثمانية أن تضعضعت وتجزأت؛ فحققت الصهيونية العالمية هدفها الأول من انبعاثها حركةً سياسيةً في العصر الحديث، في إقامة الوطن القومي اليهودي، وتهجير الآلاف من اليهود من روسيا ورومانيا وبولندا منذ عام ١٨٨٢م فقد اتسع نطاق الهجرة بعد تمزيق الدولة العثمانية عن طريق النعرات العنصرية التي أثارها اليهود، وإيقاع أبرز فريقين يشكلان الدولة (الترك والعرب) في صراع شديد، انتهى بانضمام تركيا إلى ألمانيا وانضمام العرب إلى فرنسا وإنجلترا[1].

وكان من أهم العوامل التي ساعدت على رفع الستار عن وجه الصهيونية السافر؛ عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧م، بقيادة هرتزل، الذي اتخذ عدة قرارات مهمة منها:

- تنصيب هرتزل رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية.
- إنشاء دولة يهودية في فلسطين تجمع شتات اليهود.

---

(١) انظر المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية: ٩٠.

obeikandi.com

- تقوية الروح القومية اليهودية[١].

وبذلك اتسع نطاق الحركة الصهيونية، وتطورت أطماع اليهود. فبعد أن كانوا يتطلعون إلى الإقامة في فلسطين تحت الحكم العثماني، قفزت أطماعهم إلى الاستيلاء على فلسطين، وإقامة دولة عنصرية فيها.

وعندما أعلن الشريف حسين الثورة ضد الدولة العثمانية -مخدوعاً بوعود بريطانيا للتغرير به- في الوقت الذي كانت تجتمع فيه مع فرنسا للتفاوض على مستقبل البلاد العربية، انتهت تلك المفاوضات إلى سلسلة من الاتفاقات؛ عملت على تقسيم تركة الدولة العثمانية، وأهم تلك الاتفاقيات اتفاقية سايكس بيكو (١٩١٦م)، التي وزعت البلاد العربية بين روسيا وفرنسا وإنجلترا، وكان من نصيب الأخيرة المنطقة الممتدة من جنوب سورية حتى العراق (وشملت بغداد، البصرة، حيفا، عكا) أما منطقة القدس فكانت منطقة دولية.

وتعد هذه المعاهدة أحد الأدلة الواضحة على نفاق السياسة الإنجليزية ضد العرب أثناء الحرب العالمية الأولى[٢].

وتضاف حلقة أخرى إلى سلسلة الوعود البريطانية الغادرة؛ وذلك في تشرين الثاني ١٩١٧م، حيث تم تصريح بلفور وزير خارجية بريطانيا، الذي وعد بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين[٣]. ((والحقيقة أن وعد بلفور لم يكن مجرد وعد قطعته بريطانيا على نفسها للصهيونية العالمية لإقامة دولة يهودية في فلسطين على أنقاض

(١) انظر الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية: ١٨٧.

(٢) انظر جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن: ٥٤-٥٧.

(٣) انظر نص التصريح والدوافع إليه في: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية: ٢٣٤-٢٣٦.

أصحابها الشرعيين، و لم يكن مجرد تصريح صادر عن وزير خارجية دولة كبرى أملته ظروف معينة؛ لكنه كان في حقيقته أعمق من ذلك غوراً وأبعد أثراً؛ إنه كان نقطة تحول هائلة في مجرى السياسة الدولية؛ فقد كان حلفاً أبرمه الاستعمار البريطاني مع الصهيونية العالمية، لتنسيق سياستهما المبنية على تلاقي أطماعهما ومصالحهما المشتركة في الوطن العربي خاصة، وعلى الصعيد الدولي عامة))[1].

وبدأ الاحتلال البريطاني على الفور، ببرنامج تسليم فلسطين لليهود؛ فعُين هربرت صموئيل مندوباً سامياً في فلسطين؛ بزعم حفظ التوازن بين العرب واليهود؛ فبدأ بتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين وتمليكهم الأراضي، عن طريق انتزاع الأراضي الزراعية من المواطنين العرب، ونقل ملكيتها إلى اليهود المهاجرين في سياسة تعسفية واضحة تمثلت في أمور، منها:

- فرض الضرائب الباهظة على الأراضي؛ لإثقال كاهل المزارعين وبالتالي توقيع الحجر على أراضيهم.

- منع تصدير المحاصيل؛ مما يؤثر على دخل المزارع.

- تصفية البنك الزراعي العثماني، وتحصيل ديونه عنوة من المزارعين[2].

هذا، واستمرت سياسة التهويد بخطىً سريعة، فعمّ البلاد السخط جراء هذه السياسة الجائرة؛ فاشتعلت الثورات في أنحاء فلسطين كلها، ابتداء من ١٩٢٠م وحتى خروج الإنجليز من فلسطين في عام ١٩٤٨م.

---

(١) أعلام الجهاد في فلسطين، أحداث القضية الفلسطينية خلال ستين عاماً: ٢٩.

(٢) مدن فلسطين الكبرى، القدس: ١/٧٥-٧٧.

ومن تلك الثورات: ثورة نيسان سنة ١٩٢٠م التي حدثت في موسم موسى[١]، حيث هتف الثوار المسلمون ضد الصهيونية والاستعمار، وانقلب الاحتفال الشعبي الديني إلى مظاهرة وطنية مقاتلة؛ تعبر عن ازدياد الشعور بالمرارة تجاه السياسة البريطانية المعادية للشعب الفلسطيني؛ حيث حدثت هذه الثورة إثر تفاقم الاستفزازات اليهودية ضد سكان فلسطين في القدس. ومما ألهب حماس الجماهير المسلمة خطب مشايخ فلسطين الذين قادوا الثورة[٢] وانطلقت هذه الثورة من القدس، فكانت أول مواجهة على نطاق واسع بين الجماهير المسلمة الرافضة للوجود اليهودي، وبين العصابات الصهيونية الإرهابية، وأسفرت عن قتل عدد كبير من الجنود البريطانيين واليهود[٣].

وفي (أيار ١٩٢١م) اندلعت الثورة في يافا؛ وكان سببها المظاهرة التي قام بها اليهود للتحرّش بالعرب، وكانت تلك الثورة رداً رافضاً لتغلغل التيار الشيوعي الذي نشره اليهود في البلاد، وأسفرت عن سقوط عدد من القتلى من الطرفين[٤].

وفي (آب ١٩٢٩م) كانت ثورة البراق، وذلك عندما تزايدت صيحات اليهود المطالبة بالحائط الغربي للمسجد الأقصى (حائط البراق) الذي يسميه

---

(١) الفكرة التي يعبر عنها هذا الموسم هي حشد أكبر عدد ممكن من المسلمين لإحباط أي مؤامرة يمكن أن يقوم بها النصارى عند زيارتهم للأماكن المقدسة في أعيادهم، انظر البعد الإسلامي في الحركة الوطنية الفلسطينية: ٢٦-٢٧.

(٢) من هؤلاء القادة: عبد القادر المظفر، الحاج أمين الحسيني، موسى كاظم الحسيني،عبد الفتاح درويش، عارف العارف، خليل بيدس.

(٣) انظر البعد الإسلامي في الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة البراق حتى الانتفاضة: ٢٦-٢٧.

(٤) انظر المرجع السابق: ٢٨، وانظر خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية: ٢٣٦.

اليهود (حائط المبكى) ونُشرت التصريحات اليهودية التي أعلنت هدفها في إقامة هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى، فجاؤوا إلى الحائط في عيد الغفران بأعداد كبيرة، وأحضروا المقاعد والموائد والمصابيح؛ ليحولوا المكان إلى كنيس يهودي؛ فغضب المسلمون واتفقوا -في اجتماع لهم تحت قبة الصخرة- على تشكيل لجنة ممثلة لهم سموها ((لجنة الدفاع عن البراق الشريف)).

وكان للحاج أمين الحسيني دور بارز في إثارة الجو الإسلامي في البلاد، إثر وقوع هذه الأحداث، واكتسبت قضية البراق بعداً إسلامياً واسعاً، وبخاصة في المناطق القريبة من فلسطين[١].

وعُقد مؤتمر إسلامي في القدس كان من أهم نتائجه تشكيل جمعية حراسة الأقصى والأماكن الإسلامية المقدسة، ومركزها القدس.

ولما قطع الأعداء كل أمل في زحزحة المفتي أمين الحسيني عن موقفه الصلب بشأن البراق؛ لجؤوا إلى محاولة إغرائه بالمال؛ لتبديل موقفه، والتساهل مع اليهود؛ تمهيداً لتنفيذ خطتهم الرامية إلى الاستيلاء على البراق، ولكن الحاج أمين رفض العرض اليهودي بكل إباء.

وفي (آب ١٩٢٩م) اشتعلت ثورة البراق، عندما نظّم اليهود مظاهرة ضخمة، رفعوا فيها العلم الصهيوني على حائط البراق؛ فخرج المسلمون في باحة المسجد الأقصى، في مظاهرة عظيمة، ووقع اصطدام دموي قاتل فيه المسلمون بشجاعة فكانت حصيلة هذه الاشتباكات مئات القتلى والجرحى من الفريقين[٢].

---

(١) انظر أعلام الجهاد في فلسطين، الحاج أمين الحسيني، رائد جهاد وبطل قضية: ٩٨-١٠١.

(٢) انظر أعلام الجهاد في فلسطين، الحاج أمين الحسيني، رائد جهاد وبطل قضية: ٩٨-١٠١.

ولا جرم أن لهذه الثورات أهمية قصوى؛ بما أثبتته من كون العنصر الديني هو المحرك الرئيس للشعب الفلسطيني في كفاحه ضد العدو، الذي بات يهدد حرياته واستقلاله ومقدساته كذلك.

واستمرت بريطانيا في مرحلة الثلاثينيات (١٩٣٠-١٩٣٩م) في سياستها الرامية إلى تهويد فلسطين وتمزيق الكيان العربي. فكان أبرز الأحداث الوطنية التي شهدتها فلسطين في تلك الفترة، أحداث تشرين الأول ١٩٣٣م، عندما دعت القيادة الفلسطينية إلى الاحتجاج على الحالة الرهيبة في البلاد؛ فانطلقت مظاهرة القدس الكبرى من الحرم الشريف، فبادر العدو إلى إطلاق النار لتفريق المتظاهرين؛ مما أسفر عن عدد من الجرحى والقتلى الفلسطينيين.

وحدثت في العام نفسه مجزرة في يافا، قُتل وجُرح فيها عدد كبير من الفلسطينيين، فقامت مظاهرات في حيفا والقدس ونابلس وغزة؛ إثر تلك المجزرة في يافا[1].

وفي عام (١٩٣٥م) بدأت ثورة الشيخ عز الدين القسّام، الذي كوّن حركة جهادية لتحرير الوطن من العدو الصليبي والصهيوني. وامتاز القسّام عن غيره في تلك الفترة بتركيزه على الاستعمار البريطاني؛ لإدراكه أنه العدو الرئيس الذي تجب مقاومته؛ فاستقر في حيفا، وبدأ مرحلة الإعداد والتهيئة النفسية للثورة، ثم كوّن الوحدات الجهادية المنظمة، التي قامت بأعمال بطولية عظيمة؛ أسفرت عن اغتيال عدد من الضباط الإنجليز، وتنفيذ عمليات فدائية ضد المستوطنات اليهودية. ثم استشهد الشيخ القسّام بعد أن قاوم ببسالة وأبى الاستسلام، ومع

(١) انظر البعد الإسلامي للحركة الوطنية الفلسطينية: ٤٤-٤٥.

فرصة النجاة التي سنحت له ولرفاقه، الذين هتف بهم قبل موته قائلاً: ((موتوا شهداء))[١].

((ومن المهم الإشارة إلى أن معركة يعبد -التي استشهد فيها القسام- قد أكسبت الجهاد في فلسطين بعده الإسلامي الواسع.. وقد ذكر عديد من المؤرخين للحركة الوطنية الفلسطينية أن استشهاد القسّام كان بمثابة القبس الذي أشعل نيران الثورة الفلسطينية الكبرى))[٢] فقد بدأت هذه الثورة بتحرشات اليهود بسكان يافا، فردّ العرب على هذا العدوان اليهودي؛ فهرعت قوات الإنجليز لحماية اليهود والدفاع عنهم؛ وتطورت الأحداث إلى قتال بين العرب واليهود في (نيسان ١٩٣٦م)؛ فقُتل وجُرح عدد كبير من اليهود، واستشهد ستة من العرب، وبدأ الإضراب في جميع أنحاء فلسطين؛ تعبيراً عن السخط ضد السياسة البريطانية فكان إضراباً لم يُعرف له مثيل في تاريخ البلاد؛ استمر ستة أشهر. فكانت تلك صورة نادرة من صور البطولة، رسمها الشعب الفلسطيني المجاهد. وتحوّل الإضراب إلى جهاد مسلح في مختلف المدن الفلسطينية؛ فأشعلت الحرائق، وألقيت القنابل. و لم يفتّ في عضد المجاهدين القمع من قبل سلطات الانتداب، بل زادهم ذلك تماسكاً وتصميماً[٣].

((وحينما يئس الإنجليز من إخماد الثورة حربياً لجؤوا إلى الحيلة والدسائس والمكر، وأقنعوا ملوك العرب بالتوسط لإنهاء الإضراب، ووقف العصيان، واعدين بالنظر في مطالب العرب))[٤].

---

(١) انظر أعلام الجهاد في فلسطين: ٢، الشيخ عز الدين القسّام، قائد حركة وشهيد قضية: ٨٣-١٢٦.

(٢) البعد الإسلامي للحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة البراق حتى الانتفاضة: ٥١.

(٣) انظر خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية: ٢٦٨- ٢٦٩.

(٤) انظر خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية: ٢٧٠.

وبالفعل فقد أصدر الملوك والحكام العرب نداءً دعوا فيه إلى الهدوء، ووضع حد للاضطرابات؛ معتمدين على حسن نوايا الحكومة البريطانية[١] فتوقف الإضراب وهدأت الثورة لفترة. ثم امتدت تلك الثورة طوال سنوات (٣٧، ٣٨، ١٩٣٩م)، إلى أن أعلنت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩م).

وفي هذا الوقت بلغ التحرك اليهودي أوجه، إذ إن سيل اليهود -الذين تطوعوا في الجيش البريطاني إبّان الحرب- بدأ يتدفق باستمرار إلى فلسطين، بصفتهم جنوداً بريطانيين؛ فقام الجيش البريطاني بجمع الأسلحة من العرب في فلسطين؛ متذرعاً بالأحداث المفتعلة التي قام بها اليهود بعد الحرب، مثل: مهاجمة المنشآت العسكرية البريطانية، واختطاف بعض الضباط، وكان هذا ثمناً باهظاً دفعه العرب، إثر استكانتهم إلى الوعود البريطانية الماكرة[٢].

وبعد أن تمّ تجريد العرب مما كانوا يملكونه من مقومات الدفاع، وتأكّد اليهود من العون الأمريكي غير المحدود، وتمّ حشد العناصر اليهودية المقاتلة؛ قامت بريطانيا -وفق اتفاق سابق- بإعلان تخليها عن الانتداب في فلسطين؛ بزعم عدم قدرتها على السيطرة على اليهود، وأعقبت ذلك بنقل القضية إلى هيئة الأمم المتحدة؛ التي أصدرت قرار التقسيم في (٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧م) الذي ينص على تأسيس دولة عربية ودولة يهودية، واعتبار منطقة القدس وبيت لحم منطقة دولية[٣].

---

(١) انظر نص النداء في المرجع السابق الصفحة نفسها، وانظر جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن: ٢٨٠.

(٢) انظر زحف الطاعون المزمن. التحركات اليهودية عبر التاريخ: ٤٠١-٤٠٥.

(٣) انظر شهداء فلسطين: ١٨٣-١٨٤، وانظر: القضية الفلسطينية من منظور إسلامي: ١٢٢.

((وأمام تآمر هيئة الأمم مع بريطانيا واليهود وسائر الدول الصليبية هبّت الشعوب العربية المسلمة تستنكر قرار التقسيم، وتشجب غدر بريطانيا وتنادي بحمل السلاح، ودخول المتطوعين المجاهدين إلى أرض فلسطين؛ لإنقاذها من المؤامرة الدولية والغدر البريطاني والجشع اليهودي))[١].

وتألّف جيش الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني، الذي كان علماً من أعلام الجهاد الفلسطيني ورمزاً له، بالنظر إلى الأعمال البطولية التي هزّت كيان اليهود؛ فنسف الوكالة اليهودية (١٩٤٨م)، وهاجم المستعمرات. فكانت مقاومة فعالة مؤثّرة؛ جعلت اليهود يهرعون إلى مجلسن الأمن؛ بعد أن عجزوا عن مواجهة جيش الجهاد المقدس، واقترفوا جرائم بشعة بتشجيع من القوات البريطانية. وكان من أبشعها مذبحة دير ياسين، وهي قرية صغيرة في غربي فلسطين هاجمها اليهود بغتةً وفتكوا بأهلها وجمعوا جثث القتلى وشوّهوها، ثم ألقوا بها إلى بئر القرية. وذلك في (٩ نيسان ١٩٤٨م). كما أعملت العصابات اليهودية القتل والخراب في المدن والقرى القريبة، مثل: عكا وحيفا ويافا وصفد وطبريا وسمخ[٢].

((وفي خضم هذا الموقف العالمي المعادي للعرب؛ لم يعد بد من تدخّل العرب العسكري في فلسطين؛ أملاً بإنقاذ ما يمكن إنقاذه منها ومن سكانها العرب.

وهكذا دخلت الجيوش العربية -التي كانت في مستهلّ تكوينها مفتقرة

---

(١) شهداء فلسطين: ١٨٦.

(٢) انظر: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية: ٣٠١-٣٠٢، وانظر: على أبواب القدس: ١٥٣.

الافتقار كلّه للسلاح والعتاد- في (١٥ أيار ١٩٤٨م) أرض فلسطين؛ فوقعت الواقعة، واشتبكت وحداتها الشبه عزلاء[١] مع العصابات الصهيونية المدججة بمختلف أنواع الأسلحة الحديثة، فكان من الطبيعي أن لا يكون النصر العربي حاسماً؛ مع البون الشاسع الذي كان بين القوتين المتصارعتين. أضف إلى ذلك تدخل الأمم المتحدة الدائم لصالح الصهيونية، كلما أحرج موقفها العسكري إبان تلك العمليات...))[٢] ومع ذلك رجحت الكفة العربية في المرحلة الأولى، لولا تدخل الأمم المتحدة وفرض الهدنة على الدول العربية. وبذلك أفسح المجال أمام اليهود لإعادة التسليح وجلب المتطوعين من أوروبا، وعندما توقف القتال -بعد عدد من الاتفاقيات (١٩٤٩م)- كانت إسرائيل قد حصلت على جميع الأراضي التي تضمنها قرار التقسيم، إضافة إلى نصف الأراضي التي خُصّصت للفلسطينيين؛ وأعلنت قيام الدولة الباغية[٣].

وتتابعت الحلقات في سلسلة مآسي الشعب الفلسطيني، من إبعاد وترحيل وإرغام على الهجرة، باستخدام جميع الوسائل لإخراجهم من أرضهم؛ وإحلال اليهود محلهم.

بعد أن أشرفت بريطانيا على غرس الدولة اليهودية ((نصلاً حاداً مغمداً بين ظهراني العرب، لا يفتأ يحتزّهم ويسترف قواهم؛ حتى تتداعى، فيخلدوا للخنوع والاستسلام، ولا تقوم لهم قائمة))[٤]، بعد أن قامت بكل ذلك سلّمت علم

(١) هكذا في أصل النص، وهو خطأ، والصواب: شبه العزلاء.

(٢) زحف الطاعون المزمن، التحركات اليهودية عبر التاريخ: ٤١١.

(٣) انظر جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن: ٤٠٥-٤١٤.

(٤) الصهيونية بين الدين والسياسة: ٢٠.

الصهيونية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، التي عدَّت نفسها -منذ ذلك الحين- مسؤولة عن أمن إسرائيل، وتوفير أسباب البقاء والاستمرار لها. فقدمت إليها الهبات والمنح المالية والعينية والقروض، وفتحت لها أبواب خزائنها ومخازن أسلحتها، متعهدةً بالقيام بعملية توازن القوى في الشرق الأوسط بين الدولة اليهودية ومجموع الدول المحيطة بها[١].

وهكذا تبدّت الأحقاد الصليبية والصهيونية مجتمعة ضد المسلمين، ولا عجب في ذلك؛ فقد جمعتهم وحدة الهدف، ووحدة المصالح. فالصهيونية ليست مقصورة على اليهود، بل هناك نصارى يعتنقون الصهيونية، ويفتخرون بأنهم صهاينة، وهم يزعمون أن الإنجيل امتداد للتوراة، وأن إعادة الهيكل سيُعَجّل بمجيء المسيح[٢].

وبعد أن منيت الجيوش العربية بتلك الهزيمة أمام القوات اليهودية في نكبة ١٩٤٨م، بدأت مشاعر السخط عند الشعوب العربية في كثير من الأقطار، ضد صُنّاع هذه الهزيمة. كما تفاقمت النقمة ضد الغرب وأتباعه؛ ممن كانوا وراء إسرائيل، حتى أصبحت دولة ذات كيان مستقل قوي؛ بما تتلقاه من دعم الغرب والشرق لها مادياً ومعنوياً فكانت موضع الحدب والرعاية منهم؛ بما يجعل قوتها العسكرية -وحدها- مضارعةً لمجموع قوى الدول العربية؛ فلا تستطيع أن تصمد أمامها نداً لند[٣].

وما انفكت إسرائيل تغتنم كل فرصة لتنفيذ أهدافها الإقليمية الصهيونية؛

---

(١) انظر قبل أن يهدم الأقصى: ١١٨.

(٢) انظر قبل أن يهدم الأقصى: ١٦-١٩. وانظر أمريكا وإسرائيل: ١٦-١٧.

(٣) انظر معركة الإسلام، وقائعنا بين الأمس واليوم: ١٧٩.

فقامت بتشريد أهل فلسطين، وفتحت أبواب الهجرة إليها على مصراعيها أمام كل متشرّد من يهود العالم؛ وذلك لسد النقص في العنصر البشري والقوة العسكرية. فتمكّن وكلاء الصهيونية من تهجير عدد كبير من اليهود من شتى بقاع العالم؛ بالقيام بحملة مركزة في الدعاية، غايتها زعزعة وجود الطوائف اليهودية، عن طريق غرس الخوف من الاضطهاد الوشيك، وإيجاد ضغوط سياسية واقتصادية لحملهم على الهجرة إلى فلسطين[١].

ولم تتخلّ الدول الاستعمارية عن إسرائيل، بل عملت دائماً على دعم نفوذ هذه الدولة وتثبيت أقدامها؛ فأصدرت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ما يعرف باسم ((التصريح الثلاثي)) عام ١٩٥٠م، وجاء في هذا التصريح:

- أن الحكومات الثلاث تقرر بأن الدول العربية ودولة إسرائيل في حاجةٍ إلى الاحتفاظ بمستوى معين من القوات المسلحة؛ لتضمن أمنها، وتتمكّن من الاضطلاع بالدور المنوط بها.

- أن الحكومات الثلاث تلقت من جميع الدول التي تعتمد عليها في التسلّح، ضماناً بأن هذه الدول لا تعتزم القيام بأي عمل عدواني إزاء أي دولة أخرى.

- أن هذه الحكومات تنتهز هذه الفرصة لتعلن اهتمامها بتوطيد أركان السلم في منطقة الشرق الأوسط[٢].

ومما لا ريب فيه أن الهدف الحقيقي من هذا التصريح هو تقديم ضمانات جديدة للكيان الإسرائيلي في فلسطين، وتهديد العرب، حتى لا يفكروا في استعادة

(١) انظر أطلس الصراع العربي الصهيوني: ٤٣-٤٥.

(٢) انظر زحف الطاعون المزمن، التحركات اليهودية عبر التاريخ: ١١٧.

أراضيهم بالقوة. وأوضحت الدول الثلاث -فيما بعد عملياً- أنها لم تكن تعني بتصريحها هذا، إلا حماية إسرائيل من اعتداء العرب. أما اعتداء إسرائيل على العرب، فإن هذه الدول تغمض أعينها عنه. فقد كانت الغارات الإسرائيلية العديدة على العرب عمليات عسكرية منظمة، و لم يحدث أن انتهكت أي من الدول العربية اتفاقات الهدنة بأي هجوم على إسرائيل[١].

وبدأت إسرائيل تمارس سياسة الإدارة القائمة على مبدأ الأمر الواقع في القسم الذي احتلته من القدس عام (١٩٤٨م)[٢] فمارست الإجراءات التي من شأنها تهويد هذا القسم من بيت المقدس، باعتبار ذلك مرحلة أولى من مراحل أطماعها النهمة في القدس جميعها. متجاهلة القوانين والمواثيق الدولية كلها، وبالرغم من القرارات كلها الصادرة عن هيئة الأمم، التي تدين مثل هذه الأعمال. وشجعت الاستيطان اليهودي في القدس: مما أدى إلى تفوق سكاني يهودي في المدينة المقدسة[٣].

هذا وأيّاً ما كانت الظروف الصعبة التي كان الشعب الفلسطيني يمرّ بها، فإنه تابع تأدية واجبه الجهادي، فقام بأعمال بطولية ذات طابع عسكري، بمبادرات فردية أو جماعية. مما كبّد العدو خسائر عظيمة؛ فكان رد فعله على تلك

---

(١) انظر شهداء فلسطين: ٣٦٧.

(٢) في حرب (٤٨) تجزأت القدس إلى قسمين: أولهما- القدس القديمة (الشرقية): وهي التي يحيط بها سور القدس العتيق، وبها كل المقدسات، وظل هذا الجزء بيد العرب بعد الحرب المذكورة، وثانيهما- القدس الجديدة (الغربية): وتقع خارج السور القديم، وتتميز بعمرانها الحديث، وقد احتلتها إسرائيل عام (١٩٤٨م).

(٣) انظر: بيت المقدس في ضوء الحق والتاريخ: ٥٤-٥٥.

العمليات شن العدوان على القطاع في تشرين الثاني عام ١٩٥٥م[١]. فلم تكتف إسرائيل بما استولت عليه في حرب ١٩٤٨م، من الأراضي الفلسطينية، بل تابعت أطماعها التوسعية للاستيلاء على المزيد من الأراضي العربية.

وعندما أعلنت مصر تأميم قناة السويس، اشتعلت نار الغضب لدى بريطانيا؛ فكان أن تحالفت مع فرنسا[٢] وإسرائيل وكانت الأخيرة ترى أن الفرصة قد سنحت لاحتلال باقي أرض فلسطين، وشبه جزيرة سيناء، فتكون لها السيادة على مشارف قناة السويس[٣].

وقد بدأت إسرائيل هجومها في تشرين الأول عام ١٩٥٦م، وسرعان ما تدخلت فرنسا وبريطانيا؛ بدعوى وقف الحرب بين مصر وإسرائيل. وذلك تنفيذاً للمؤامرة السريّة مع إسرائيل، وضماناً لمصالحها للتقدم نحو القناة[٤].

وقد واجه أهالي القطاع حكماً إرهابياً خلال الاحتلال الصهيوني، بعد الهجوم الثلاثي؛ حيث اتّبعت القوات الإسرائيلية سياسة الإرهاب العام، والإبادة الجماعية[٥] والتعذيب النفسي والجسدي.

---

(١) انظر: البعد الإسلامي للحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة البراق حتى الانتفاضة: ٩٨.

(٢) كانت فرنسا في ذلك الوقت تحتل الجزائر؛ فرأت أن قهر القيادة العربية في القاهرة، يؤدي إلى سهولة تحطيم الثورة الجزائرية التي كانت مصر تساندها.

(٣) انظر: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن: ٤٤٩، وانظر تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر: ٧٠-٧١.

(٤) انظر: أطلس الصراع العربي الصهيوني: ٥٦.

(٥) كما حدث في بلدة خان يونس (٣ تشرين ثاني ١٩٥٦م) حيث مارست إسرائيل عمليات الفتك والقتل. انظر: البعد الإسلامي للحركة الوطنية الفلسطينية: ١٠١.

وما انفكت إسرائيل تغتنم كل فرصة لتنفيذ أهدافها التوسعية الصهيونية. فكانت ((تعزّز قواتها العسكرية، وتستعدّ لمعركة قادمة مع العرب؛ للاستيلاء على مزيد من الأرض، ولفرض الصلح، بحيث تستطيع أن تخفف من الأعباء المالية التي يفرضها سباق التسلح، وسياسة الحرب الدائمة، وبحيث تفتح أمامها أسواق العالم العربي. فقد كان وضع إسرائيل الاقتصادي يسوء بسبب المقاطعة العربية، وغيرها من العقبات الاقتصادية))[١].

وكان من العوامل التي دفعت إسرائيل إلى عدوان عام (١٩٦٧م)، تعاظم قدرتها العسكرية، وتزايد نشاط الفدائيين، ومحاولة تقليص النفوذ السوفييتي في بعض الدول العربية، والأزمة الحادة في الاقتصاد الإسرائيلي. فمن شأن الحرب أن توفر دعماً مالياً قوياً عن طريق التبرعات، وكذلك قيام مصر بإغلاق خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية. فكانت تلك أبرز الأسباب التي مهّدت للحرب[٢].

وفي الخامس من حزيران ١٩٦٧م، بادرت إسرائيل بشنّ هجوم غادر بطائراتها على المطارات المصرية، ثم استولت على قطاع غزة، وشبه جزيرة سيناء، إلى أن بلغت قناة السويس. كما احتلت الضفة الغربية للأردن والقدس الشرقية ومرتفعات الجولان السورية. وسقط عدد كبير من القتلى، وتوقف العمل في القناة، وأعلنت إسرائيل القدس عاصمة لدولة الكيان الصهيوني، بعد استيلائها على القدس القديمة (الشرقية)، والتي كانت تحت حكم الأردن. وزاد عدد

(١) تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر: ٧٢.

(٢) انظر دراسات في تاريخ العرب الحديث: ٤٨٠، وانظر تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر: ٧٣.

اللاجئين عن ربع مليون فلسطيني من الضفة الغربية وقطاع غزة. ودخل عرب القطاع والضفة تحت حكم إسرائيل[١].

وبعد هذه الهزيمة الساحقة، بادر مجلس الأمن إلى التدخل لوقف إطلاق النار، ثم أصدر قراراً بسحب القوات الإسرائيلية من المناطق العربية. ولكن إسرائيل رفضت الانسحاب من الأراضي التي احتلتها، وأصرّت على ضم القدس عاصمة لها[٢].

((وبعد ذلك باشرت إسرائيل تنفيذ مراحل التهويد النهائية (في القدس) ضمن عدد من الإجراءات والقرارات والأوامر العسكرية والإدارية والتشريعية والإرهابية))[٣].

ب. أحداث ما بعد عام (١٩٦٧م) وأبرزها الانتفاضة:

في (٢١ آب ١٩٦٩م)، تعرض المسجد الأقصى لحادث حريق مفتعل من صنع أحد الإسرائيليين. وقد احترق في هذا الحادث منبر صلاح الدين، وأثاث المسجد وجدرانه. وبعد محاكمة صوريّة للفاعل، ادّعت السلطات الصهيونية عدم تحمله للمسؤولية الجنائية؛ لأنه مختل عقلياً[٤].

---

(١) انظر أطلس الصراع العربي الصهيوني: ٦٢-٦٧، وانظر تاريخ العرب الحديث والمعاصر: ٧٣.

(٢) انظر دراسات في تاريخ العرب الحديث: ٤٨٢.

(٣) بيت المقدس في ضوء الحق والتاريخ: ٥٠.

(٤) انظر أيام دامية في المسجد الأقصى المبارك: ١١، وانظر القدس الشريف خلال فترة الاحتلال الإسرائيلي ٤٠-٤٢، ٨٢-٨٤.

ووسّعت إسرائيل عملية مصادرة الأراضي العربية، مع تقديم الدعم الكبير لحركة العمران الاستيطاني اليهودي في القدس. وبدأت عملية هدم الأملاك العربية حول الحرم الشريف ومصادرتها. كما أعملت الحفريات بالقرب من الحرم الشريف، وتحت أساساته بهدف تقويضه وهدمه؛ وذلك تحت ستار القيام بأعمال الحفريات الأثرية، للتنقيب عن آثار هيكل سليمان المزعوم[١].

هذا، وقد استتبع نكبة حزيران أن تنبه العرب من غفلتهم؛ واستشعروا الخطر الداهم الذي يتهددهم؛ مما أدى إلى تحرك الدول العربية في إطار المساعي السياسية والدبلوماسية؛ لإنهاء النزاعات العربية، وإقامة علاقات جديدة، لدعم التقارب في الجبهة العربية. ((وقد كان للملك فيصل -رحمه الله- النصيب الأوفى في تحقيق تضامن العرب وحشد طاقاتهم، وتسخيرها لخدمة القضية العربية، بفضل حنكته السياسية، وغيرته على العروبة والإسلام))[٢].

وباشرت الحكومات العربية العمل الدؤوب في سبيل إعادة بناء قواتها المسلحة، وتقوية قدراتها القتالية؛ لتهيئتها لعملية الثأر. فمع ذلك الانتصار العسكري الكبير لإسرائيل، إلا أنه لم تتمكن من حمل العرب على الاعتراف بها، أو التفاوض معها. وأدركت الحكومات العربية أن ما انتزع بالقوة لا يسترد إلا بالقوة. ومن هنا بدأ الاستعداد العربي لاسترجاع الأراضي المحتلة، واستعادة

(١) انظر حركة المقاومة الإسلامية، نظرات في الفكر والممارسة: ١٢-١٥، وانظر القدس الشريف خلال فترة الاحتلال الإسرائيلي: ٤٠-٤٧، ٨٢-٨٤.

(٢) من سيناء إلى كامب ديفيد: ٧٥.

الحقوق المشروعة لشعب فلسطين. فتمّ توقيع اتفاقية عسكرية بين مصر وسورية، تحدّدت فيها أهداف الصراع القادم وطرق قيادته[١].

وتمّ الإعداد العسكري للحرب، وبنت القيادة المصرية خطتها على عدّة مبادىء رئيسة من أهمها: إقامة نظام دفاعي جوّي متفوق؛ لحرمان العدو من هذه الميزات، والتخطيط الدقيق لاقتحام قناة السويس وتدمير خط بارليف[٢].

وبدأت الحرب في ٦ تشرين الأول ١٩٧٣م -في شهر رمضان- حين اجتازت القوات المصرية قناة السويس، وتم تدمير خط بارليف (خط الدفاع الإسرائيلي) على الضفة الشرقية من القناة[٣].

واستطاعت إسرائيل -بعد ذلك- اختراق القناة، واحتلال بعض أجزاء الضفة الغربية لقناة السويس، واختراق خطوط القتال السورية.

وانتهت هذه الحرب بإصدار مجلس الأمن قراراً دعا إلى وقف إطلاق النار. وذلك بعد أن اتفقت الولايات المتحدة وروسيا على وقف القتال بين العرب وإسرائيل، لمحاولة الوصول إلى تسوية للنزاع. ((فكانت اتفاقية فكّ الارتباط بين القوات المصرية والإسرائيلية في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤م، وبقيت القوات

---

(١) انظر تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر: ٧٥.

(٢) خط بارليف: خط دفاعي أنشأه اليهود بمحاذاة قناة السويس من جهة سيناء؛ ليحول دون أي هجوم من جهة مصر على إسرائيل، وصاروا يتفاخرون به، وأنه سيكون مقبرة لكل من يحلم بعبوره، انظر: من سيناء إلى كامب ديفيد (٦٧-٧٩): ٧٦-٧٧.

(٣) انظر المرجع السابق: ٨٨-٨٩، وانظر: تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر: ٧٦-٧٧.

المصرية في الضفة الشرقية))[١] وأعيد فتح قناة السويس للملاحة الدولية (١٩٧٥م)، بعد إغلاقها ثمانية أعوام، منذ حرب حزيران ١٩٦٧م[٢].

وجدير بالذكر أنه تمّ استخدام البترول سلاحاً سياسياً في هذه الحرب. فكانت المبادرة السعودية هي أول مبادرة قوية في هذا الصدد[٣]. إذ أرسل الملك فيصل رسالة إلى الولايات المتحدة، جاء فيها: ((إن العربية السعودية لن تزيد إنتاجها الحالي من النفط إذا لم تغيّر الولايات المتحدة موقفها المنحاز إلى إسرائيل))[٤]. وقرر الوزراء العرب -في اجتماع للدول العربية المنتجة للبترول عقد في الكويت- خفض الإنتاج بنسبة ٢٥% ثم يزداد التخفيض بمعدل ٥% حتى يتمّ جلاء القوات الإسرائيلية؛ ويستعيد الشعب الفلسطيني حقوقه المشروعة. وأدى ذلك إلى ارتفاع أسعار النفط، وبالتالي إلى أزمة اقتصادية تهدّد الأمن الداخلي والاستقرار السياسي للدول الأوروبية[٥].

هذا، وقد ((تصاعدت الأعمال الفدائية... وتميزت بقدرة الفدائيين على اختراق حدود فلسطين المحتلة، والتوغّل بالعمق، وضرب أهداف كان يعدها العدو آمنة وخارج نطاق العمليات الفدائية))[٦].

---

(١) تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر: ٧٨.

(٢) انظر المرجع السابق: الصفحة نفسها.

(٣) حاول العرب استخدام البترول في المعركة مع إسرائيل مرتين، ولكن المحاولة أخفقت لعدة أسباب، انظر: من سيناء إلى كامب ديفيد: ١٤٧.

(٤) المرجع السابق: الصفحة نفسها.

(٥) انظر أطلس الصراع العربي الصهيوني: ٨٤.

(٦) المرجع السابق: ٩٦.

وإزاء ذلك، شرعت إسرائيل تحوك المؤامرات للقضاء على المقاومة الفلسطينية، فتذرعت بالعمليات الفدائية -التي كانت تنظمها المقاومة الفلسطينية في لبنان- مقدمة لاجتياح لبنان. ففي عام ١٩٧٢م أغارت القوات الإسرائيلية على جنوب لبنان، وقصفت مخيمات الفلسطينيين، تحت ستار ضرب قواعد الفدائيين. ولكنها كانت في الواقع نوعاً من حرب الإبادة ضد الشعب الفلسطيني[١].

واستمرت الحرب في لبنان، وتمكن العدو في حزيران ١٩٨٢م من اجتياح لبنان، والوصول إلى العاصمة بيروت. وجرت معارك عنيفة بين الطرفين، انتهت بخروج منظمة التحرير بكامل أسلحتها عن طريق البحر؛ بعد أن توسطت بعض الدول العربية لإنهاء القتال[٢].

واستمرت خيوط المؤامرة حول الوجود الفلسطيني في لبنان. وكان من أبرز الأحداث، العدوان الوحشي على مخيمي صبرا وشاتيلا في جنوب لبنان، في ١٦ أيلول ١٩٨٢م. حيث اجتاح الجيش الإسرائيلي وعملاؤه هذين المخيمين، وقام بمجزرة رهيبة؛ ذهب ضحيتها حوالي سبعة آلاف فلسطيني. وقد هزّت هذه المجزرة الرأي العام العالمي، وقوبلت بالسخط والتنديد، وأظهرت الحقد الصهيوني السافر ضد الفلسطينيين[٣].

---

(١) انظر أسباب وأسرار الحرب اللبنانية (٧٥-٧٦): ٢٠٩-٢١٠، وانظر أطلس الصراع العربي الصهيوني: ٧٩.

(٢) انظر تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر: ٨١.

(٣) انظر المرجع السابق: ٨٩.

وفي غمرة تلك الأحداث ((سارت العلاقات العربية في اتجاه مختلف؛ أدى إلى التفكك والتمزق...، وأدى أيضاً إلى خروج مصر من ساحة الصراع؛ بتوقيع اتفاق صلح مع إسرائيل))[١] وقد قوبلت هذه الاتفاقية (كامب ديفيد) بموجات عارمة من الشجب، من قبل الدول العربية.

واستعاد السوريون القنيطرة من إسرائيل، بعد أن دمّرتها تدميراً كاملاً، وتراجعت القوات الإسرائيلية في سيناء، وجلت عن مجموعة من البقاع التي أعيدت إلى مصر، والتي احتوت على حقول البترول[٢].

هذا، وقد تُوّج تاريخ جهاد الشعب الفلسطيني، بانتفاضة عام ١٩٨٧م؛ فكانت هذه الانتفاضة حلقة جديدة في سلسلة متصلة الحلقات من الجهاد الفلسطيني، منذ بداية العدوان الصهيوني على فلسطين.

وثمة أمر لا بد من تجليته بادئ ذي بدء -عند الحديث عن الانتفاضة- وهو أن هذه الانتفاضة تتميز بالتنظيم الدقيق، والتنسيق التام. في حين كانت الثورات السابقة تحدث بصورة عفوية غالباً وتكون ردة فعل لبعض الاستفزازات الصهيونية، أو للتعبير عن المشاعر الوطنية في بعض المناسبات.

وقد كان لهذه الانتفاضة وتطورها أسباب ودوافع، من أهمها: الإرهاب الصهيوني؛ إذ ((شملت قوانين الاحتلال الاستيطانية التوسعية جميع مجالات الحياة في فلسطين، و لم تترك للشعب متنفساً للحياة الكريمة المستقرة))[٣] فاستولت

---

(١) تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر: ٧٩.

(٢) انظر ملف الانتفاضة: ٧٣، وانظر الانتفاضة المباركة، وقائع وأبعاد: ١٦-٢٢.

(٣) الانتفاضة المباركة، وقائع وأبعاد: ١٦-٢٢.

السلطات الصهيونية على الأراضي والأوقاف الإسلامية؛ وشيّدت عليها المستوطنات بعد إبعاد أصحابها وتهجيرهم منها. كما لجأت إلى التنكيل بالشعب، واعتقال أبنائه، ضاربة عرض الحائط بالقوانين الدولية التي تحدّ من صلاحيات الدولة المحتلة، فيما يتعلق بالمواطنين تحت الاحتلال. وقامت تلك السلطات بنسف المنازل بدعوى مقاومة أصحابها الاحتلال. كما قامت بإبعاد الفلسطينيين من أراضيهم وترحيلهم، وفرضت الضرائب الباهظة، لتدعم بذلك اقتصادها؛ وتجعل أوضاع المواطنين في تردٍ دائم. وتدخل الاحتلال في مناهج الدراسة، فغيّرها، وقيد مجالات الدراسات الأكاديمية وأنواعها، هذا فضلاً عن أنواع أخرى من القهر الصهيوني، لسحق الشعب الفلسطيني المسلم[١].

وكان تنامي الصحوة الإسلامية التي عمّت البلاد منذ منتصف السبعينيات، من أهم الدوافع التي أبرزت الانتفاضة، وحدّدت منطلقاتها، في مواجهة العدو اليهودي بفاعلية وعنف.

وفي ((٨ كانون الأول ١٩٨٧م، وأثناء عودة عمال قطاع غزة خرجت مقطورة من مستوطنة (إيريز) وانحرفت إلى الشارع الموازي لتحطيم سيارتين مما أدى إلى مقتل عدد من الفلسطينيين من مخيم جباليا، وجرح آخرين))[٢].

وبعد هذه الحادثة دعا الشباب المسلم كافة سكان المخيم للمشاركة في جنازة الشهداء. وتحولت إلى مظاهرة قادها شباب حركة المقاومة الإسلامية، وقاموا بهجوم على مركز الجيش الإسرائيلي في المخيم. ودارت معركة ضارية بين

(١) انظر ملف الانتفاضة: ٧٣، وانظر الانتفاضة المباركة، وقائع وأبعاد: ١٦-٢٢.

(٢) القضية الفلسطينية من منظور إسلامي: ١٧٣.

الجانبين[١]. فكانت هذه الحادثة هي ((الشرارة التي أشعلت الفتيل، بقرار حركة المقاومة الإسلامية، بتصعيد الانتفاضة المباركة))[٢].

واستمرت التظاهرات قوية صامدة، مع اشتداد الممارسات القمعية من قبل الجيش الإسرائيلي. وامتدت إلى جميع مناطق غزة، ووصلت إلى مدن الضفة الغربية ومخيماتها[٣].

كما استمرت سياسة القمع الصهيونية؛ لمواجهة هذه الانتفاضة الشعبية العارمة. فكثّف العدو عمليات القتل والاعتقالات والتعذيب والإبعاد وإخلاء الأرض من السكان وجباية الضرائب من المواطنين[٤].

وقد كان للانتفاضة تأثيرها الفعال على العدو الإسرائيلي. حتى إن وزارة دفاعه تركت مهماتها الأساسية لمواجهة هذه الثورة، التي استخدمت الحجارة، والزجاجات الحارقة، وإشعال الحرائق؛ ونشرت الرعب بين المستوطنين اليهود[٥].

وتظل الانتفاضة الجهادية تعبيراً عن رفض الوجود الصهيوني في إسرائيل، فتقدم مئات الشهداء والجرحى والمعتقلين، مع استمرار وسائل القمع التي يستخدمها العدو. وكان من أهم سمات هذه الانتفاضة المباركة، ظهور دور حركة المقاومة الإسلامية في قيادة الانتفاضة وتوجيهها، في معظم قرى الضفة

(١) انظر الانتفاضة المباركة ومستقبلها: ٥٣.

(٢) المرجع السابق: الصفحة نفسها.

(٣) انظر القضية الفلسطينية من منظور إسلامي: ١٧٤.

(٤) انظر ملف الانتفاضة: ٢٣٨، وانظر: الانتفاضة المباركة: ٣٢.

(٥) انظر حركة المقاومة الإسلامية: ٤٣٣، وانظر الانتفاضة الفلسطينية والأزمة الصهيونية، دراسة في الإدراك والكرامة: ١١٠-١١٤-١٢٢.

والقطاع ومدها، وإصرارها على استمرار الثورة الجهادية حتى التحرير وطرد الاحتلال. فمما جاء في ميثاق هذه الحركة: ((تتعارض المبادرات، وما يسمى بالحلول السلمية، والمؤتمرات الدولية؛ لحل القضية الفلسطينية، مع عقيدة حركة المقاومة الإسلامية. فالتفريط في أي جزء من فلسطين، تفريط في جزء من الدين...))[1].

ويستمر صراعنا مع اليهود -الصراع العقائدي في منطلقاته وخططه وأهدافه- صراعاً بين العقيدة الإسلامية، وعقيدة التوراة المحرفة. وهو جهاد يستهدف الوصول إلى نتيجة واحدة محددة، هي تحرير الأرض المقدسة.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ١٢/٢١].

(١) القضية الفلسطينية بين ميثاقين: ١٠١.

obeikandl.com